

مقولات النقد الثقافي

بين مركزية النسق والجمالية النصية

Essays of cultural criticism

Between the centrality of the pattern and the textual aesthetic

نصيرة لكحل

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف ، (الجزائر).nassiralakehal18@yahoo.com

تاريخ الارسال 2024/02/19 تاريخ القبول 2024/04/17 تاريخ النشر 2024/06/01

ملخص:

انتقل النقد الثقافي إلى المشهد الأدبي العربي نتيجة تفاعل النقد العربي الحديث مع النقد الغربي ، ولذلك فإن جميع مشكلات هذا النقد في الغرب انتقلت إلى المشهد النقدي العربي ولكن دون وعي كاف بأية أسس معرفية ، أي أننا أخذنا المصطلحات دون أن نتبين الأرضية التي انطلقت منها، وأحدث موضوع النقد الثقافي في المشهد النقدي العربي الحديث إشكالا وخلافا ومناقشات حول جدواه ووثاقه وصلته بالمنتج الثقافي وجدالا لا ينقطع حول مشروعية إحلاله محل ضروب النقد الأخرى كالنقد الأدبي والنقد الفني والنقد الفلسفي، وهذه الدراسة تحاول أن نقف من خلالها على ماهية النقد الثقافي ومقولاته ، وأهم الإشكالات التي طرحت معه.

الكلمات المفتاحية:

النقد الثقافي، النسق، الجمالية، الأدب، النقد

Abstract:

Cultural criticism moved to the Arab literary scene as a result of the interaction of modern Arab criticism with Western criticism, and therefore all the issues of this criticism in the West moved to the Arab critical scene, but without sufficient awareness of any cognitive foundations, that is, we took the terms without discerning the ground from which they were launched, and the latest The subject of cultural criticism in the modern Arab critical scene, a problem and controversy, and discussions about its usefulness and relevance to the cultural product, and an endless debate about the legitimacy of substituting it for other types of criticism, such as literary criticism, artistic criticism, and philosophical criticism. I posed with him.

Keywords :

Cultural criticism, style, aesthetics, literature, criticism

1- ظهور أم لجوء:

إن تدبر الأدب الذي خضع لهذه التحولات وتدبر أشكال التعبير الفنية الأخرى لم يعودا ممكنين -فيما يرى بعضهم- من خلال النقد الأدبي الذي بات غير قادرا على الإحاطة بالنص الأدبي الجديد أو التعامل على نحو مرضٍ ، مع ما تنطوي عليه وجوهه المختلفة من غنى في التقنيات والدلالات ، ولذا فإنه على المجتمعات العربية الحديثة أن تدع النقد الأدبي لأنه استنفذ مسوغات وجوده ، وغدا مجرد نشاط فكري غير مجدٍ ولا فعال في معالجة الإنتاج الأدبي العربي الحديث ، وأن نتبنى نقدا آخر هو النقد الثقافي الذي يستطيع كما يؤكد هؤلاء أن يستجيب للظروف والشروط والمحددات الجديدة التي باتت تحكم هذا الإنتاج الجديد.¹

2- الأدب / النقد / الثقافة :

سيحدث تقاطع بين الأدب والثقافة كما يرى عبد الله الغدامي بوصفهما مفهومين قديمان ، ومتداخلان ، ومن ثمة بين مفهومي النقد الأدبي والنقد الثقافي، حيث نسب النقد الأدبي إلى الأدب ، وفي المقابل ينسب النقد الثقافي إلى الثقافة وهذه لعبة ساذجة في نظره ، حيث يرى أن الأدب هو فن القول البليغ .² ويبيّن ذلك على مفهوم الثقافة باعتبارها "آليات الهيمنة من خطط وقوانين وتعليمات ، فيزيد في معناها على أنها مجرد حزمة من أنماط السلوك المحسوسة كما هو التصور العام لها"، وهي في الأصل كما يعرفها مالك بن نبي : " علاقة متبادلة ، وهي العلاقة التي تحدد السلوك الاجتماعي لدى الفرد بأسلوب الحياة في المجتمع ، كما تحدد أسلوب الحياة بسلوك الفرد³ ."

إن الثقافة تضم سلوكا محكوما بالقواعد ومشاركا ويقوم على الرمز ويتم تعلمه ، وكذلك معتقدات يتم نقلها عبر الحضارات ، فكل شخص يتم تربيته و ليس فقط الأفراد الحاصلين على تعليم الصفوة ، فالجنس البشري له القدرة على التثقف بالمعنى العام إلا أن البشر يعيشون في ثقافات معينة ، حيث يتم ترتيبهم على المقدرّة الإنسانية للتعلم الثقافي واستخدام اللغة والرموز وتشير الثقافات إلى المعتقدات والسلوكيات المعتادة وقواعد السلوك المستوعبة في البشر وذلك من خلال التعلم.⁴

وعلى أساس ذلك الكل يعرف ما النقد، والكل يعرف ما الثقافة ، وكما أن النقد الأدبي نشاط فكري، يتجسد إنشاء لغويا ينتسب إلى الأدب الذي يحدد طبيعته ووظيفته وحدوده مثلما يحدد هويته ، فهو نقد أدبي لأنه موصوف (نقد) تتحدد هويته بصفته (أدبيا) المستمدة من واحد من أهم الفنون الجميلة هو الأدب فذلك هو شأن النقد الثقافي، إنه موصوف (نقد) تتحدد هويته بصفة (ثقافيا) المستمدة من الثقافة القومية غالبا بتجلياتها المادية وغير مادية أو المعنوية.⁵

يحاول عبد الله الغدامي أن يدخل مفهوم الثقافة في عملية تلقي النص الأدبي حينما يرى أن المتلقين يتلقون النص ، وهو المؤلف المعهود ويتلقون معه الثقافة أو كما يسميها بالمؤلف المضمر ، بمعنى أن المؤلف المعهود هو ناتج ثقافي مصبوغ بصبغة الثقافة⁶ ،

3-الدلالة الصريحة / الدلالة الضمنية / الدلالة النسقية:

ينطلق عبد الله الغدامي في طرح فكرة النقد الثقافي بداية من التفريق بين ثلاث دلالات ، دالتين متعارف عليهما في العرف الاستعمالي ، وهما الدلالة الصريحة والدلالة الضمنية ، والدلالة الصريحة هي التي تتناسب مع المواضيع العلمية والكتب التي تتأسس على إفادة المعنى ، وإذا خرجنا منها إلى الواقع ، وجدنا أن كل المعاملات اللغوية تستند على الدلالة الصريحة ، والدلالة الضمنية ، وهي التي لا تسلم المعنى بطريقة مباشرة ويعتمد عليها الأدب والشعر خاصة ، فقد يتوارى المعنى وراء النظم ليصبح من خلاله الشعر شعرا ، ويرى أنه تزداد " أدبية النص كلما ازدادت قدرته على إنتاج الدلالة الضمنية " ⁷ ، على أن الدلالة الضمنية درجات ، وتختلف من نص إلى آخر وبحسب قوة النص ، لكنها تكون مع الشعر أكثر ظهورا من غيره، وهي تتوافق مع الشعرية جدا ، حيث يركز النص في جوهره كنص أدبي على شاعريته التي تمثل علامة فارقة فيه رغم وجود عناصر أخرى يتأسس عليها، ولكن الشعرية هي أبرزها، " وقد توجد الشعرية في نصوص غير أدبية فهي ليست حكرا على النص الأدبي ، ولكنها تستأثر به ويستأثر بها وبدونها لا يحظى النص بسمته الأدبية." ⁸

وتختلف مناسبة الدلالات في المواقف الحياتية ، فهناك ما يتطلب دلالة الضمنية مع تقدير المراتب في ذلك ، كأن تستعمل هذه الدلالة - مثلا - في حالة شخص مريض بمرض خطير ويجب عليه العلاج ، فهنا يتطلب الموقف دلالة التلميح ولا يقال للشخص مباشرة بمرضه ، وهناك مواقف تتطلب فيها دلالة التصريح ، مثلما يكون في مشاريع الزواج فلا ينفع هنا في العلاقات الجادة إلا التصريح ، ولا يجوز معه أن يجنح الخاطب إلى دلالة التصريح ، ثم التلميح ، وقد يجوز التلميح ثم التصريح على ألا يطول ، ولا تخلو الدالتين من التوصل بأي شكل من الأشكال ، إلا أنه في الأولى- التصريح - أوضح وأنفع للتواصل ، والثانية تلازم النصوص الأدبية العالية، وعلى هذه الدالتين يقوم النقد كله مع تقدير مستوى هاتين الدالتين ، وفي سياق بناء صرح النقد الثقافي يقترح الغدامي دلالة أخرى يسميها بالدلالة النسقية ، "والدلالة النسقية هي قيمة نحوية ونصوصية مخبوءة في المضمرة النصي في الخطاب اللغوي." ⁹

على أن الأولى ترتبط بالشرط النحوي وصحته، وهو ينتاسب مع لغة الصحافة والجرائد والثانية ترتبط بالوظيفة الجمالية ، ويقترح للثالثة أنها ترتبط في " علاقات متشابكة مع الزمن لتكون عنصرا ثقافيا " ¹⁰ ويقرّ عبد الله الغدامي بوجود جمل مقابلة لكل تلك المعاني، الجملة النحوية المرتبطة بالدلالة الصريحة، والجملة الأدبية ذات القيم البلاغية والجمالية المعروفة، والجملة الثقافية المتولدة عن الفعل النسقي في المضمرة الدلالي للوظيفة النسقية في اللغة، وهي حصيلة الناتج الدلالي للمعطي النسقي.

4-النقد الثقافي :

النقد الثقافي بحث في أنساق الثقافة المضمرة وفي مشكلاتها المركبة والمعقدة، وهو نشاط إنساني يدرس الممارسات الثقافية في أوجهها الاجتماعية والذاتية وتموضعاتها كافة، بما في ذلك تموضعها النصوي، ومن هنا يتعد النقد

الثقافي عن الأدوات المنهجية المستعملة في النقد الأدبي، وهي أدوات تبحث في بنية النص ، وفي ما هو بلاغي /جمالي ، أما النقد الثقافي في منظور النقاد الثقافيين مثل الغدامي فيبحث في الأنساق المضمرّة للخطاب، ويتعامل مع النص الأدبي بوصفه حادثة ثقافية كغيرها من الحوادث الثقافية التي تحظى باهتمام الدراسات الثقافية التي تحاول الكشف عن أدوات التمركز والهيمنة.

يتضمن النصّ الإبداعي في بنيته أنساقاً إشارية تعري المتلقي بالتفاعل معها لفك مغاليقه، وبما أن النص يعد بنية افتراضية تنطوي على فجوات أو فراغات محفزة ، فإن المتلقي يصبح أمام ما يسمى بآفاق التوقعات ، وهكذا تؤدي الفجوات المحور الذي تدور حوله علاقة القارئ بالنص ومن هنا تحرض فراغات النص القارئ على ممارسة التحليل ضمن الشروط التي يحددها النص.¹¹

فالنقد الثقافي يركّز على الحفر في الأنساق الثقافية التي تعكس مجموعة من التمثّلات الثقافية والتاريخية والاجتماعية والأخلاقية والإنسانية والقيم الحضارية، وتمتدّ إلى الأنساق الثقافية الدينية والسياسية ، أمّا النص الأدبي فيتعامل معه ليس بوصفه نصاً جمالياً ، بل بمثابة نسق ثقافي يؤدي وظيفة نسقية ثقافية تضم ما هو مضاد للمعلن في النص الأدبي ويقصي الجانب الجمالي ووظيفته الشعريّة.¹²

5-مجالات النقد الثقافي :

إن النقد الثقافي نشاط، وليس مجالاً معرفياً خاصاً بذاته؛ أي أنّ نقاد الثقافة يطبقون المفاهيم والنظريات المتضمنة له على الفنون الراقية والثقافة الشعبية والحياة اليومية، وعلى حشد من الموضوعات المرتبطة، كما أن نقاد الثقافة يأتون من مجالات مختلفة ، ويستخدمون أفكاراً ومفاهيم متنوعة ، وبمقدور النقد الثقافي أن يشمل نظرية الأدب والجمال والنقد وأيضاً التفكير الفلسفي وتحليل الوسائط والنقد الثقافي الشعبي ، وبمقدوره أيضاً أن يفسر نظريات ومجالات علم العلامات ونظرية التحليل النفسي والنظرية الماركسية والنظرية الاجتماعية والأنثروبولوجية ودراسات الاتصال وبحث في وسائل الإعلام والوسائل الأخرى المتنوعة التي تميز المجتمع والثقافة المعاصرة.¹³

6-خصائص النقد الثقافي :

يقوم النقد الثقافي على ثلاث خصائص:

لا يؤطر النقد الثقافي فعله تحت إطار التصنيف المؤسّساتي للنص الجمالي ، بل يفتح على مجال عريض من الاهتمامات إلى ما هو غير محسوب في حساب المؤسسة ، وإلى ما هو غير جمالي في عرف المؤسسة سواء أكان خطاباً أم ظاهرة. ومن سنن هذا النقد أن يستفيد من مناهج التحليل المعرفية من مثل تأويل النصوص ودراسة الخلفية التاريخية ، إضافة إلى إفادته من الموقف الثقافي والتحليل المؤسّساتي.

و الذي يميز النقد الثقافي المابعد بنوي هو تركيزه الجوهرية على أنظمة الخطاب وأنظمة الإفصاح النصوي ، كما هي لدى بارت ودريدا وفوكو ، خاصة في مقولة دريدا " لا شيء خارج النص " وهي مقولة يصنفها ليتش بأنها بمثابة البرتوكول للنقد الثقافي المابعد بنوي ومعها مفاتيح التشريح النصوي عند بارت وحفريات فوكو.¹⁴

7- النقد الثقافي والنص الأدبي / من الخاص إلى العام :

يغطي النقد الثقافي بأهمية كبيرة، وذلك لأنه يتعالى عن حدود النص ولا يهتم بلغته الجمالية، كما أن الناقد الثقافي يواجه التاريخ والنظام الاجتماعي والنظام السياسي وهو يتجاوز بذلك النص، وقد يتعالى عن العملية النقدية المعتمدة على النص إلى دراسة العوامل المرتبطة بالنص مثل علم (علم الإنسان) أو (علم الأديان)، وذلك للوصول إلى غاية كشف أبعاد النص.¹⁵

فكان من نتائج ذلك أنّ هذا النقد الثقافي انفتح على مسارات نقدية أخرى مثل المنهج التفكيكي والفلسفة الماركسية والتحليل النفسي الفرويدي، ومسارات ما بعد الحداثة، وغيرها.¹⁶

لقد اعتمد النقد الثقافي على الخطاب مهملًا بذلك النصية المطلقة، والظروف الاجتماعية والفنية التي نشأ فيها متّجها إلى ما يميّز به من أنساق ثقافية ظاهرة ومضمرة، فالنص ليس هو الغاية حسب النقد الثقافي وما هو إلا وسيلة لتجسيد الأفعال الثقافية العميقة في سياق المنظومة الخطابية الخاصة بمجتمع ما، والنقد الثقافي تبنى تلك النظرة الثاقبة في التعامل مع النص، وحوارته مع مختلف الخطابات، لأنّ الشمولية التي يتميز بها النقد الثقافي جعلته لا يكون حكرًا على النص، والاعتماد عليه، ذلك أنّه انفتح على مختلف الدراسات والأفكار والرؤى الفكرية والسياسية والاجتماعية والإنسانية متعالياً بذلك عن العادية والسوقية.¹⁷

إن الدراسات الثقافية تأخذ النص من حيث ما يكشف من خلاله من أنظمة ثقافية تتشكل داخل منظومة مؤسسية، كما أنّها لا تركز على ما يخص البنية اللغوية والأسلوبية للنص بل صارت تستخدم النص لاستكشاف أنماط معينة كأنساق التمثيل والتصوير، وتركز الدراسات الثقافية على توليد الثقافة وبنائها في مختلف السياقات والخطابات والأنساق.¹⁸

8- مركزية النسق :

لقد اعتمد النقد الثقافي على مقولة النسق بدلا عن مقولة النص، ومقولو المضمير بدلا عن مقولة الدال، واعتماد الجماهيرية الواسعة غي الاستهلاك بدلا عن الطبقة المحددة التي تتميز بالإبداع.¹⁹

وبذلك تشكل النسقية الثقافية مركزا للعديد من المفاهيم المركزية التي اعتمدها الغدامي تأسيسا لفكرته النقدية، وقد اشتغل النسق على وظيفة محدّدة، ولا تكون إلا في وضعية محدّدة، وتتميّز النسقية الثقافية بأنها تاريخية قديمة وتعتمد على القراءات الخاصة بها كأصل من الأصول التي تعتمدها في التأويل، وهي ليست تابعة لأحد الأطراف وإنما هي أصيلة في الخطاب ترسّخت بفعل ثقافة معيّنة تمّ تأليفها ليتّم استهلاكها بطريقة جماهيرية واسعة.²⁰

وقد اشتغل يوسف عليمات على استخراج الأنساق الثقافية المتعددة في القصيدة الجاهلية مبينا مركزيتها، إذ اعتبر أن عالم الشاعر الجاهلي هو في الحقيقة بناء ثقافي متعدد الأنساق الجدلية والثقافة بوصفها آلية مولدة ليست مجموعة من النصوص في وضع موضوعي أو غير مرتب، وإنما هي ترميز وتنظيم (نسق الأنساق) ونمذجة كما أنّها لا تعين إلا من خلال شبكة العلاقات الدلالية، وهي تتعامل إذن بوصفها نظام ذا طبيعة إنسانية

وفكرية وأخلاقية وجمالية ، وهي أيضا أبنية ، وتعمل في أوضاع ذات دلالة اتصالية ، وهذه الدراسة لا تنفي القيمة الجمالية وأهميتها في التحليل الثقافي بقدر ما تثمن قيمتها، رغم مناداة أصحاب مشروع النقد الثقافي بإجلاء العلامات القبحية في النصوص الإبداعية أكثر من الإشارات الجمالية²¹.

و يركّز يوسف عليّات على القيمة الوظيفية التي تؤديها الأنساق الثقافية في بنية النص الشعري الجاهلي ، إذ أن بنية القصيدة الجاهلية تبدو بنية متحركة غير ثابتة وقادرة على التجدد والتحوّل مانحا لمختلف الأنساق ديناميكية وحيوية، وقد هيمنت الأنساق الثقافية في بنية القصيدة الجاهلية، وهذا نتاج وعي حضاري وفكري إنساني خلاّق عند الشاعر الجاهلي الذي تمكن بأدواته المعرفية والثقافية من تشكيل النموذج الإبداعي الأعلى المتمثل في شكل القصيدة والمتضمن لكل أبعاد الصراع الإنساني والحضاري²².

ولقد ركز يوسف على دراسة الضد في الشعر الجاهلي كونه يشكل مركزية نسقية جديدة بالبحث والدرس ، وقد تحوّل في قراءة الشعر الجاهلي من القراءة الأفقية المعيارية السياقية إلى تلك القراءة العمودية النسقية المتسائلة ، ولا شك في أن حضور النسق المضمّر في بنية النص الشعري الجاهلي يعكس صورا تتضح بفعل القراءة العميقة لجدليات الصراع بكل أبعاده الإنسانية والزمانية والمكانية موضوعاتيا من خلال المفارقات الشعرية والصور التنافرية والثنائيات الضدية مما يعزز من مقولة هيمنة النسق²³.

وبمارس النسق فاعليته في بنية النص الشعري بوصفه نظاما علائقيا فوقيا متعاليا محملا مرجعيات ثقافية وأيدولوجية وأطر معرفية جمعية ، لذا فإن النظرية الثقافية تبلغ أقصى دلالتها حين تكون معنية على وجه الدقة بالعلاقات بين الأنشطة الإنسانية الكثيرة ومتنوعة ، التي قسمت تاريخيا ونظريا إلى جماعات على هذا النحو خاصة حيث تتفحص هذه العلاقات من حيث هي دينامية ومحددة داخل مواقف تاريخية شاملة يمكن وصفها²⁴.

إن عوالم الصراع تتصافر في بنية النص الشعري الجاهلي لتنتقل للمتلقّي أنساقا ثقافية مختلفة من صميم المجتمع الجاهلي، وقد تمكّن الشاعر الجاهلي عبر فاعلية الأنساق الثقافية من إعطاء رؤية تكاملية للكون والإنسان، فغدا النص الشعري لديه عالما من الأنساق ذات العلاقات المتشابكة ، كما أن كل موضوعة يثيرها الشاعر في نصه تمثل نسقا ثقافيا يفرض حضوره وسلطته من خلال تفاعله مع بقية الأنساق ، فتصبح القصيدة بعدها ذات أبعاد متنامية تفرض فهما عميقا لتحليلها ، لذا فإن موضوعة الفهم للأنساق النصية تبدو أمرا مهما في فهم العملية التأويلية، فلا يقدر الكاتب على فهم حدود التأويل إلا بعد فهم عميق.

وترتكز القصيدة الجاهلية على فضائي الزمان والمكان، اللذان يرتبطان بمنظور الشاعر الجاهلي من الحياة والقيمات الأساسية في الحياة، ويبرز الشاعر الجاهلي مضمّرات المكان والزمان وارتباطهما بنفسية ورؤية الشاعر²⁵.

9-وظيفة النقد الثقافي / النظرية الثقافية والشعروشرطها :

يقيم عبد الله الغدامي نظريته على مفهوم النسق بمعناه البسيط باعتباره نظاما بمعنى قريب أو مطابق لمصطلح دي سوسير ، أو بمعنى أعمق وأشمل عندما أضفى عليه دلالات خاصة ، فالنسق يتمظهر عبر اشتغالاته المختلفة

وترتبط وظيفة النقد الثقافي بشروط معينة، ويتجلى النسق المضمّر في نظرية النقد الثقافي كونه عنصرا مهيمنا رئيسا في الإجراء.²⁶

فنص الصعلكة يتوزع مثلا بين نسق ظاهر يثير إعجاب المتلقي ببطولة الصعلوك ومغامراته وكذلك أساليبه في صنع أنساقه المتعالية ، وبين نسق مضمّر يجب التوقف مليّا عند محمولاته وإشارات ، حيث نجد الصورة الإيجابية التي تشكّلت للصعلوك على مستوى النسق السطحي تتحول إلى صورة سلبية في النسق المضمّر ، فإحدى التأويلات المتوقعة للنسق المضمّر تشير إلى أن هذا الصعلوك ما هو إلا إنسان مجرم خارج عن النظام ويستحق العقاب ، كما يمكن لهذا النسق المضمّر أيضا ، أن يُوجه نقدا لاذعا لنظام القبيلة التي لا تهتم بحقوق الإنسان والتي تعكس صورة التمايز بين أفراد النظام ، مما يؤدي إلى حضور الفرد الواعي المثقف الذي يثور ضد النظام الظالم ويتبنى مسؤولية المطالبة بحقوق الإنسان ، فالنص الصعلوكي يقدم نقدا يستعين بالجمالي لإظهار المسكوت عنه في الخطاب ، ولولا وجود هذا المكون الجمالي في بنية النص لما تمكن الشاعر من بناء الأنساق الثقافية وإضمارها.²⁷

و بما أن النص الجاهلي حادثة ثقافية جمالية - كما يعتقد يوسف عليمات - هذا يدل على أن الشاعر يستمد مادته الفنية وصوره الشعرية من خلال ثقافة التفاعل مع مجتمعه أي تصبح علاقة الشاعر المجتمع والشاعر النص أمام النسقين أيضا :

النسق الجمعي ويشتمل على ثقافة القبيلة والممدوح والأعراف والمرجعيات الخاضعة لنظام هذا النسق. والنسق الفردي النسق الشعري وهو يمثل رؤية الشاعر الذاتية للآخر القبيلة أو الوجود أو الممدوح أو المهجو ، وتبدو صورة النسق الفردي في النصوص الشعرية متراوحة في موقفها بين الانتماء إلى النسق الجمعي والخضوع لسلطته أو الثورة على النسق المضاد التي تبنى عليه الذات، فيضحى النص الشعري كمحاولة علاجية للواقع، عبر الانسجام الحاصل في الواقع بطريقة ما²⁸.

إن استبطان القصيدة الجاهلية لهذه الأنساق على تعددها وغموضها يمنح القصيدة الجاهلية خصوصية التعدد القرائي وميزة التأويل الثقافي ، ولا شك في أن تأويل الأنساق المتوارية في فجوات النص الشعري الجاهلي يسهم في فهم الأبعاد المعرفية والحقائق الأثنوغرافية للمجتمع الجاهلي ، وذلك أن المجتمع الجاهلي كان محكوما بأعراف وتقاليد هي بمثابة المكونات الثقافية لتشكيله الأساس.²⁹

ويكون المضمّر مضادا للأنساق الظاهرة، ويكون ذلك ظاهرا في نص واحد، ويؤكد على ضرورة أن يحمل النص الصبغة الجمالية وأن يكون موجهها إلى أكبر فئة من الناس، والجمالية هي ما تواضعت عليه الناس المشتغلة في حقل الدراسات الثقافية وأقرته جميلا، قلت : وكل هذه المواصفات تنطبق انطباقا كليّا على الشعر الجاهلي ، وكأن النقد الثقافي أسس على مقياس الشعر الجاهلي لنقده فاشترط هذه الصفات - لنشوء النقد الثقافي- توضح لنا أن هذا النص سابق عن النقد الثقافي ، وبالتالي هو نقد على مقاسه ويرى أن تحديد هذه الشروط يتجه إلى كشف

"حيل الثقافة" في تمرير أنساقها تحت أقنعة ووسائل خافية، حيث يرى أن الموروث قوة لا شعورية، مثلما هو قوة شعورية ومعها رفضنا الجانب الشعوري، فإن اللاشعوري يظل مغروسا في داخلنا يحرّكنا ويطبعنا بطابعه³⁰. وأهم هذه الحيل هي الجمالية، وأمر هذه الحيل يصبح مشروعا في نقد الثقافة، وعندما نرى عبد الله الغدامي يؤكد على ضرورة كون النص جميلا ويستهلك بوصفة جميلا، وبأن يكون النص جماهيريا ويحظى بمقروئية عريضة، أتأكد من قصديته للشعر الجاهلي أو الشعر القديم عموما، ويتأكد ذلك باعتبار النصوص التي انتقدها في كتابه ليقوم النقد الثقافي، ويقول " فإذا ما توافرت هذه الشروط نكون أمام حالة من حالات ولحظة من لحظات النقد الثقافي، والنص في ذلك لا يدرس باعتباره نصا أدبيا جماليا ولكنه أيضا حادثة ثقافية " ³¹، ويرى أن الأصل في هذا النقد هو الدلالة النسقية باعتبارها هي الأصل النظري للكشف والتأويل مع التسليم بوجود الدلالات الأخرى الصريح منها والضمني، وربما يتطرق أكثر، فيرى أن الجملة الثقافية رديف مختلف عن الجملة النحوية والأدبية، مثلما أن النص النسقي رديف مختلف عن النص الأدبي، ولسوف يكون النص الثقافي رديفا عن النقد الأدبي، وقد جاء النقد الثقافي ليحقق وثبة مهمة في حقل الدراسات الأدبية³².

10- النقد الثقافي والجمالية النصية:

يعد النقد الثقافي من الاتجاهات الجديدة التي تكشف العملية النصية وأبعادها المختلفة من خلال الأنساق المضمرّة والظاهرة الناتجة عن الرؤية الفكرية العميقة التي تتوارى خلف السياق اللفظي للنص، بعيدا عن أهمية النص في حد ذاته، من حيث جماليته اللغوية والبلاغية، وإنما يركّز على الأفكار والرؤى، وهنا يكمن الفرق بينه وبين النقد الأدبي، هذا الأخير الذي يُعلي من القيمة البلاغية والجمالية التي يتمتع بها النص، ويخرج بذلك عن منظومة المعايير التي نفرّق من خلالها بين النصّ الجيد والنصّ الرديء لذلك كانت إجراءاته تتميز بكثير من الوصفية بعيدا عن إطلاق الأحكام المعيارية، كما أنّ هذا النقد يعزل النص عن المتلقي ولا يكون حكرا على أعمال محدّدة لأنّه لا يؤمن بفكرة جمالية النص المطلقة.

فليس النص مطلق الجماليّة هو الذي يكون منوطا بالدراسة بوصفه النصّ الأمثل والنموذج الأفضل الذي تتجسّد فيه مختلف الجماليات، والتي اشتغل عليها النقد الأدبي بالدراسة وأعلى من قيمتها، ذلك أنّ النقد الثقافي يهتم بكلّ الخطابات التي ينتجها الشعب بمختلف الأشكال والأنواع كالنكتة والحكايات الشعبية والأغاني والمسلسلات بدعوى أنّها لا تتمتع بمعايير الجمال والبلاغة، ولم يلتفت إلى أنّها خطابات فاعلة وذات أكثر كبير في المجتمع يفوق أثر الخطابات الجمالية البلاغية³³. وهذا رأي عبد الله الغدامي في مشروعه الثقافي، إلا أن يوسف عليمات لم يقص الجانب الجمالي في دراسته الثقافية، وقد حاول التركيز على الوظيفة النفعية للبلاغي والجمالي في النصوص الشعرية في الوقت التي تنظر فيه جلّ الدراسات الثقافية لهذه البلاغات أو الجماليات على أنّها حيل خادعة يجب أن يتخلّى النقد الثقافي عن دراستها ويعلن موتها وموت النقد الأدبي الذي يتوسل بها، فلا يمكن - في رأيه - لمؤلف القصيدة أن يهمل القيمة الجمالية من حيث هي هدف أساس لتحقيق شعرية الشعر³⁴.

فالنسق - في رأي يوسف عليما وعلى عكس عبد الله الغدامي - نظام بيد أن نظاميته تتجلى في مخاتلته وطبيعة لغته المراوغة ، إذ يصبح الشكل المؤلف بهذه اللغة الخاصة قيذا لرؤيا الشاعر وبابا لتحررها في آن واحد ذلك ، لأن الرؤيا التي جمعت أشياء النص وألفاظه في نسق خاص هي نفسها التي تفتح على العالم ، بحيث تجعل من الشاعر إنسانا متساميا لا يعيش متموقعا في حدود زمانية ومكانية متينة الأسوارعالية الجدران ، إن النسق في ضوء انفتاحه على مكون الثقافة (اللغة) يؤسس نظاما من العلاقات المرجعية الخاصة والاحتمالات الإشارية اللانهائية حيث تضحى العلاقة بين الدال والمدلول اعتبارية لا حد لها³⁵.

خاتمة :

لا يمكن للنقد الأدبي أن يموت كما لا يمكن للنقد الثقافي أن يؤسس ولادته ومشروعيته على أنقاض النقد الأدبي ، فالخطاب الثقافي لا ينفصل عن العلامات الجمالية البارزة في التصوص الأدبية الشعرية والتثريّة ، وإنما يأخذ معناه الثقافي إطار الأنساق الجمالية والقيم الاجتماعية المنحلة فيه كما يرى يوسف عليما . كما أن لكل من النقد الأدبي والنقد الثقافي شأن يغنيه ولا يغني أيّ منهما عن الآخر ، والمسألة هي في صدور أي نظام أدبي منشود بتحسيد في نظرية أدبية أو نقدية عن النتاج الخاص بأدب الأمة المعنية³⁶.

الهوامش :

- 1- عبد النبي أصطيف ، النقد الثقافي إلى أين ولماذا ، ص 17.
- 2- عبد الله الغدامي ، النقد الثقافي ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط 3 ، 2005 م ، ص 74.
- 3- مالك بن نبي ، مشكلة الثقافة ، دار الفكر ، دمشق ، ط 21 ، 2019 م ، ص 43.
- 4- آرثر أيزابجر ، النقد الثقافي ، تر : وفاء إبراهيم ، رمضان بسطاويس ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط 1 ، 2003 م .
- 5- ينظر ، عبد النبي أصطيف ، ما النقد الثقافي ؟ ولماذا ؟ ، فصول ، المجلد (25/3) ، العدد 99 ، 2017 م ، ص 15.
- 6- عبد الله الغدامي ، النقد الثقافي ، ص 75.
- 7- عبد الله الغدامي ، النقد الثقافي ، ص 71.
- 8- عبد الله الغدامي ، الخطيئة والتكفير ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ط 4 ، 1998 م ، ص 24.
- 9- عبد الله الغدامي ، عبد النبي أصطيف ، نقد ثقافي أم نقد أدبي ، دارالفكر ، دمشق ، ط 1 ، 2004 م . ص 27.
- 10- عبد الله الغدامي ، النقد الثقافي ، ص 72.
- 11- يوسف عليما ، جماليات التحليل الثقافي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، لبنان ، ط 1 ، 2004 م ، ص 45.
- 12- سمير خليل ، النقد الثقافي ، دار الجواهري ، بغداد ، ط 1 ، 2012 م ، ص 8.
- 13- آرثر ، المرجع السابق ، ص 31.
- 14- سمير خليل ، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، دط ، دت ، ص 301.
- 15- سمير خليل المرجع السابق ، ص 49.
- 16- سمير خليل ، المرجع السابق ، ص 50.

- ¹⁷- سمير الخليل ، فضاءات النقد الثقافي من النص إلى الخطاب ، ط 3 ، دت ، ص 9
- ¹⁸- إسماعيل خلباص، النقد الثقافي ، مفهومه ، منهجه ، إجراءاته ، مجلة كلية التربية ، العدد الثالث عشر ، واسط ، أفريل ، 2013م ، ص 11.
- ¹⁹- عبد الله الغدامي ، عبد النبي أصطيف ، نقد ثقافي أم نقد أدبي ، ص 36.
- ²⁰- سمير خليل المرجع السابق ، ص 52.
- ²¹- يوسف عليمات ، المرجع السابق ، ص 23.
- ²²- يوسف عليمات ، المرجع السابق ، ص 21.
- ²³- يوسف عليمات ، المرجع السابق ، ص 40.
- ²⁴- يوسف عليمات ، المرجع السابق ، ص 44.
- ²⁵- يوسف عليمات ، المرجع السابق ، ص
- ²⁶- عبد الله الغدامي ، عبد النبي أصطيف ، نقد ثقافي أم نقد أدبي ، ص 30.
- ²⁷- يوسف عليمات ، المرجع السابق ، ص 23.
- ²⁸- يوسف عليمات . المرجع السابق ، ص 41.
- ²⁹- يوسف عليمات ، المرجع السابق ، ص 16.
- ³⁰- عبد الله الغدامي ، تشريح النص ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط 2 ، 2006م ، ص 12.
- ³¹- عبد الله الغدامي ، النقد الثقافي ، ص 81.
- ³²- عبد الله الغدامي ، النقد الثقافي ، ص 81.
- ³³- إسماعيل خلباص ، المرجع السابق ، ص 10.
- ³⁴- يوسف عليمات ، المرجع السابق ، ص 21.
- ³⁵- يوسف عليمات ، المرجع السابق ، ص 42.
- ³⁶- عبد الله الغدامي ، عبد النبي أصطيف ، نقد ثقافي أم نقد أدبي ، ص 69.

قائمة المراجع :

1. أرثر أيزابجر، النقد الثقافي، تر : وفاء إبراهيم، رمضان بسطواويس، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003م.
 2. إسماعيل خلباص، النقد الثقافي، مفهومه، منهجه، إجراءاته، مجلة كلية التربية، العدد الثالث عشر، واسط، أفريل، 2013م.
 3. سمير الخليل، فضاءات النقد الثقافي من النص إلى الخطاب، ط3، دت.
 4. سمير الخليل، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، دارالكتبة العلمية، بيروت، لبنان، دت، دت.
 5. سمير خليل، النقد الثقافي، دار الجواهري، بغداد، ط1، 2012 م .
 6. عبد الله الغدامي، الخطيئة والتكفير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط4، 1998م.
 7. عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط3، 2005 م .
 8. عبد الله الغدامي، عبد النبي أصطيف، نقد ثقافياً منقداً أدبي، دار الفكر، دمشق، ط1، 2004 م.
 9. عبد الله الغدامي، تشریح النص، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2006م.
 10. مال كبنني، مشكلة الثقافة، دار الفكر، دمشق، ط21، 2019م.
 11. يوسف عليمات، جماليات التحليل الثقافي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ط1، 2004م.
- المجلات :
- 1- عبد النبي أصطيف، ما النقد الثقافي؟ ولماذا؟، فصول، المجلد (25/3)، العدد 99، 2017 م .